

رحلتان المهيتان

الاسراء والمعدن

الدكتور محمود بن الشريف

أستاذ التفسير بالدراسات العليا
بكلية الدراسات الإسلامية العربية
جامعة الأزهر





ثقافة وعلم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للمرجعة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جمال الدين زكي

منظفل القاهرة .. واما قلب العربى والاسلام
الناض .. تنبوا مكانها التاريخى والعصارية ..
في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة : ٩٢ شارع قصر المينى - بالقاهرة

ت ٣٥٥١٨١٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٥٣٨٠٠ - ٣٥٥٧٧٣

تلكس دولى ٢٠٥٧٤١

ص.ب ١٤ رقم بريدى ١١٥١٦



رعلنا، إلهنا :

الأسراء والمعراج

الدكتور محمود بن الشريف
أستاذ التفسير بالدراسات العليا
بكلية الدراسات الإسلامية
والقريبة جامعة الأزهر

١٤١١هـ - ١٩٩١م



ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

سلسلة

ثقافية

ادبية

اعلامية

تصدرها :

مؤسسة

« دار الشعب »

للصحافة

والطباعة

والنشر

□ الفلاف للفنان :

نبيل محمد فرغلي

رئيس قطاع النشر

سعاد قنديل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

(الاسراء ١)

مقدمة

بين يدَي الإسراء والمعراج

في حياة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -
ظواهر آلهية أو جدها المولى .. جل جلاله ، ليختبر
بها القلوب ، ويمحص بها الافئدة ، ويصهر بها ايمان
المؤمن ، فيزداد ايماناً ، ويكشف بها من كان واهى
الايمان واهن العقيدة ، فيبعده عن شريعته السمحة
ورحمته الرحيمة .

والاسراء والمعراج ظاهرتان آلهيتان ، وقعتا
والمجتمع الاسلامي وليد ، والعقل العربي لم يصقل
بالمعارف ، ولم تهينه المخترعات العلمية لأن يؤمن بهذه
الظواهر ايماناً لا يتطرق اليه ريب .

لذلك ارتاب بعض من أسلم عندما سمع حديث
الاسراء والمعراج .. وصعباً وارتد الى وثنيته
ووأد صيحات الايمان في أعماقه .. وآمن بصوت العقل
عقله العاجز القاصر الذي استبعد حدوث الاسراء
والمعراج .

ان الاسراء والمعراج معجزة الهية لا توضع تحت
المجهر العقلي .

وليس للعقل مجال في الحكم على الاسراء والمعراج ،
لأنهما من عالم الغيب الذي لا تدركه الحواس ، وليس
للعقل الا التسليم والتصديق بما ورد عنهما من

نصوص قرآنية ونبوية .. وليس له أن يسأل عن امكان ذلك ، أو كيفيته ، لأن ذلك ليس فى طاقة العقل أن يفهمه ، لأنه من عالم الغيب ، وعالم الغيب عالم منيع لا يدخل تحت دائرة الادراك العقلى .

ولو رجعنا مع العقل الى الوراء .. الى الماضى ، قبل أن تكتشف المخترعات والمبتكرات وحدثنا العقل أتتد عن هذه المكتشفاته والابتكارات التى ننعم بها الآن ، وقلنا له إن هناك المدياع والتليفون والتليفزيون وغزو الفضاء والوصول الى القمر وأخبرناه بأن هناك قوة كهربية تضىء .. وتنير بلمسة واحدة ، وتقوض وتهيت بلمسة وتدير آلات ومعامل ومصانع .. ولا نعرف سرها .. لو حدثنا العقل يومئذ بذلك لنظر العقل اليها نظرة شك وارتياح ، ولا تهمنا العقل بقله العقل ورمانا بالجنون أو الجموح ، أو الاغراق فى الخيال .

وفى عالمنا اليوم واقع نعيشه ونحياه هو هذه المبتكرات والمستحدثات التى كشفها لنا العلم وكل آونة تجد سيظهر جديد مادام ركب العلم بجذ فى سيره ، وستتوالى الآيات مصداقا لقول الحق سبحانه :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين

لهم أنه الحق) +

والاسراء والمعراج آيتان الهيئتان تؤمن بهما فى حق .. وصدق ويقين .

دكتور محمود بن الشريف

أحداث وأعاصير
مهتة للإسراء والمراج



في مطالع الدعوة الحمديدية — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — لم تكن أرض العقيدة في مكة ممهدة للدعوة ، بل كانت أرضاً صلبة حروناً لا تقبل ماء ولا تنبت كلاً ، لفظت البذور ونبذت الجذور ، ومنعت الايمان أن يستقر ويدهر في الأعماق . وسكرت الابصار .. وصمت الآذان عن سماع دعوة الداعى الى الله والى الاسلام دين الله .. ان الدين عند الله الاسلام

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝
 أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ
 خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَسَمْتَ عَلَيْهَا كِسْفًا
 أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْعَلَمِينَ فَنُصِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ
 أَوْ تَرَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلِينَ نُؤْمِنُ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا لَكُنَّا نُنْزِرُهُ
 (سورة الاسراء الآية ٩٠ - ٩٣)

وناهض المشركون الدعوة الحمديدية بكل قواهم وانطلقوا من نطاق الجحود والانكار اللسانى الى مجال التطاول والاستهزاء والابذاء والاعتداء على الدعوة وعلى الداعية وعلى من آمن بهما ، وما آمن الا قليل .

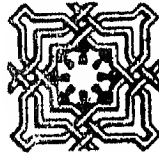
ولم تلن للرسول قناة ولم يهن له عزم — وصبر وصابر وقال لعنه قولته المشهورة : (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أنرك هذا الأمر ، ما تركته حتى أهلك دونه) .

وأعداء محمد ، وهم كثر ، من مشركين ، ومنافقين ، ووثنيين ،
 وأهل كتاب ودهريين الذين يقوون أن هي الا ارحام تدفع وأرض
 تبلع وما يهلكنا الا الدهر ، هؤلاء جميعا راوا دعوة محمد تسرى
 وتستشري وتترى كل يوم بمعتنقين وبمؤمنين .. رأى الاعداء ..
 وسمعوا .. راوا سحر القرآن في النفوس وأثره وخطره عليهم
 وسمعوا آيات الله تتلى فتجرف الشرك ، فلم يكن بدما أن حاول
 كل منهم أن يصدوا تيار الكتاب الإلهي .. ورصدوا طاقاتهم
 وامكاناتهم ليحولوا بادىء الأمر بين الاسماع وبين سماعه .. وأن
 يعملوا على وأده في مهده وعلى الحيلولة دون هدية ولكن .
 (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره
 ولو كره الكافرون) .

واسقط في أيديهم ، فهم أهل بلاغة ، والقرآن في الذروة من
 النبلاغة ، فلم يستطيعوا أن يطعنوا القرآن في أسلوبه ، وفي تعبيراته ،
 وفي جمال لفظه وجرسه ، فسلموا بالأمر الواقع وكانوا لولبيين ،
 فاقروا في الظاهر ببلاغة القرآن ، وقرروا أنه بلغ الذروة لأنه كهانة
 وسحر ، ولأنه خيال وخداع .. لا أنه منزل من السماء ، بل هو
 شعر يسحر ويبهر ، وأنه من كلام بشر لا من كلام رب البشر .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

(سورة سبأ الآية ٤٣)



جائعات

وتكتلت القوى مرة أخرى فوضعت مخططا دعائيا قوامه :
التشهير والتجريح ، واطلاق الشائعات والاكاذيب ، ونشر الدعاوى
المسمومة والمزاعم حول القرآن ، وحول من نزل عليه القرآن
صلى الله عليه وسلم .

وبعض العقليات تطامن من هামتها ، وتحنى رأسها ، وتتقبل
ما يلقى البها في سرعة ، وفي صدق ، وفي عمق . . وتجمد على
ذلك !!

والبعض يتناول الشائعة فيضفى عليها من خياله ما يزيد بها
حكمة وقوة ، ويزيد على أحداثها وحوادثها من عندياته ، وينفخ
فيها من أخيلته وتصويراته ما يضفى عليها ألوانا صارخة وصورا
تجذب الى شباكها وأحابيلها الكثير .

وعرفت قريش أن سلاح الاتهامات الباطلة سريع الأثر في
النفسيات ، وبخاصة تلك النفسيات التي تلغى تفكيرها وتعطل
عقلها وتردد ما يلقى اليها ، وأن حرب الشائعات ستكفيها من أن
تستل السيف لتشهره في وجه تلك الدعوة فجندت امكاناتها
واستفلت وسائل الاعلام التي كانت بين يديها اذ ذاك ، لوأت دعوة
محمد في مهدها والقضاء على مركز الاشعاع الروحي في مجالها .

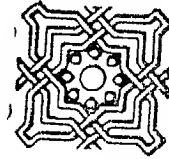
وتصدى القرآن لكشف هذه الحملة وتفنيد مزاعمها وترهاتها ،
وأبان ركائزها وأسسها التي قامت على اعداد أجهزة لتحريف
الآيات المنزلة بتغييرها أو تبديلها ، وأشرف على تلك الاجهزة اللبف
من اليهود لهم قدرة وبراعة في هذه الناحية .

وقد تعب المشركون في صد تيار القرآن الجارف ووقف اثره
في النفوس فما استطاعوا ، ثم هداهم خيالهم الضيق الى طريقة
بحولون بها بين القرآن وسامعه تلك هى : الصخب عند سماع

القرآن واللغوية ، ولما كان في ذلك استقبال لا يليق بالقرآن قابله
الله بتهديد عنيف وايعاد شديد ، اذ يقول :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

(سورة فصلت الآيات ٢٦ - ٢٨)



مزاعم .. وأكاذيب

ثم ادخلوا في روع العامة أن الرسول لا يكون بشرا ، بل ملكا ينزل من السماء ، في يمينه المعجزة وفي يساره الكتاب ، واستنكروا قائلين : ألم يجد الله رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب ؟
وقال القرآن على لسانهم :

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمُ

(سورة المؤمنون الآية ٢٤)

وقال القرآن للرسول :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ

(سورة الكهف الآية ١١٠)

ويرد القرآن على مزاعم المتقولين في هذا المجال بأن الحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنسهم ، وبشرا مثلهم حتى يسهل الأخذ عنه والتلقى منه ، ولو سكنت ملائكة الأرض ما أرسل الله اليهم الا ملكا رسولا ، يقول القرآن :

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٦﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
مَلَائِكَةٌ يُمَسِّشُونَ مُطَمِّئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا
رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

(سورة الاسراء الآيتان ٩٤ ، ٩٥)

ثم يقول القرآن في أول سورة يونس :

الرَّتِّلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ① أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَلَيَشْرَ الذِّهْنَ ءَامِنُوا
أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ
مُتَّبِعٌ ②

(سورة يونس الآيتان ١ - ٢)

كما سجلت آيات هذه السورة موقفا بين هؤلاء الذين أرادوا
استدراج الرسول عليه الصلاة والسلام ليبدل آية مكان آية فإذا
ما أذعن اذاعوا على الأا صنيعة .

وبين محمد الذي أفحمهم وقصم لهم الدليل المأموس على
صداقه وأمانته .

وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا بُرِّئُوا مِنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ
إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ هُوَ عَظِيمٌ ⑤ قُلْ لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ
قَبْلِهِ ءَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑥ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ⑦

(سورة يونس الآيات من ١٥ - ١٧)

وأنهموه بأنه شاعر يتيه في أودية الخيال ويهيم في مجال الفن
والعبقرية والجن ، والجنون فنون ، كما يقولون ، يقول القرآن :

وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَمْجُنُونٌ ⑤١

(سورة القام الآية ٥١)

وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارْكُوا هَالِهِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ③٦

(سورة الصافات الآية ٣٦)

ويقص القرآن على لسانهم كل مقترياتهم هذه ثم يرد عليهم

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ②٣

(سورة التكوير الآية ٢٢)

وأطلقوا الشائعات تقول : ان القرآن من صنع محمد وتقولاته!!
ويتحدث القرآن بحديث حاسم عما يمكن أن يجازى به محمدا
لو افترى أو تقول (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) .
ويمضي القرآن في تبين خطوط مخطط الاعداء وخطوط
مؤامراتهم وما بيتوه :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فِكْ أَفْزَرُهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ وَظَلَمْنَا وَزُورًا ① وَقَالُوا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ
أَكُنَّا فِيهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ② قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ③

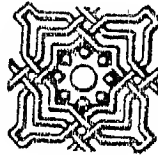
(سورة الفرقان الآية ٤ - ٦)

وهكذا ... ما يبيته أعداء الله يبينه وحى الله لأهل الله .

ولم يفت في عصفد المؤتمرين حينما رأوا أن مؤامراتهم ومناوراتهم الاعلامية لم تحظ بما كانوا يؤملونه فيها من نجاح واكتساح .. ففكروا .. وقدروا .. ودعاهم التفكير الى مزيد من وسائل اعلامية أخرى .. وسائل تمتاز بالجدة والابتكار وتتميز بالفعالية وسرعة التأثير ، فاتهموا القرآن بأنه أساطير .. وزعموا أن عندهم قصصا وأساطير تفوق القرآن ان لم تماثله ، ولجأوا الى النضر ابن الحارث الذى كان يحفظ كثيرا من القصص المختلفة من جراء كثرة تجواله وترحاله ، وجعلوه يتابع محمدا - صلى الله عليه وسلم - محاولا اجتذاب الناس من مجلس محمد داعيا الناس الى أن يستمعوا احاديثه عن « رستم » وأقاصيصه عن (سفنديار) وفي جراءة وتطاول كان يقول : عندى من الاقاصيص مثل ما عند محمد ، وسأنزل مثل ما أنزل الله على محمد .

والقرآن يكشف موقف هؤلاء ، وينذرهم ، فيقول :

ومن الناس من يشترى لهُو الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله
بغير علم ويتخذها هُزْوا أولئك لَهُمْ عذاب مهين ، واذا تنلى عليه
آياتنا ولَّى مستكبِرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره
بعذاب اليم .



الحصار الاقتصادي

وبلغت الشدائد ذروتها في مستهل السنة السابعة من بيعته صلى الله عليه وسلم حينما اجتمع المشركون وجمعوا أمرهم وتحالفوا على بنى عبد المطلب وبنى هاشم رهط النبی صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يقاطعوهم ، ولا يباليعوهم ، ولا يكلموهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة ضمنوها الا يقبلوا من بنى هاشم صلحا ابدا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموهم محمدا لقتله ، وتم هذا الميثاق وعلقت صحيفته في جوف الكعبة .

وبذلك أعلنت قريش حرب التجويع والحصار الاقتصادي والمقاطعة لمحمد وصحبه وقومه وحاصروهم في (شعب أبي طالب) بمكة ثلاث سنين لقى فيها محمد وصحبه الوانا من العنت والمشقة والجهد والجوع والحرمان .. وبلغ منهم الجهد مبلغه حتى أكلوا ورق الشجر ، وسمع صراخ أطفالهم من وراء الشعب وهم يتضورون من الجوع وكان أبو جهل - لعنة الله - دائم اليقظة والنشاط لأحكام الحصار حتى يؤدي غايته التي قررتها قريش ، وهى أن يتخلى بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلموه اليهم فيقتلوه ، أو يتخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته فيقضى عليها .

وبينما الكفار في عنادهم وموقفهم اللانسانى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا منامية أن الله سبحانه قد سلط الأرضة

(العتة) على صحيفة المقاطعة فأكلت ما فيها الا اسم الله عز وجل ومحت كل ما فيها وتركت اسم الله . وقص الرسول صلى الله عليه وسلم رؤياه على عمه (أبى طالب) فصدق عمه رؤياه وأخذ اخوته الى حيث يجتمع الكفار، فقال لهم أن ابن أخى قد أخبرنى - ولم يكذبنى قط - أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فمحت كل ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة. رحم وبقي فيها اسم (الله) فهلّموا الى صحيفتكم فان كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وتنازلوا عما فيها ، وان كانت كذبا دفعت اليكم ابن أخى فقتلتموه . قالوا : قبلنا هذا العرض ..

وكانت الصحيفة مختومة بثلاثة أحتام ، ومنذ أودعت بالكعبة لم يرها انسان ، ولم تمسسها يد بشر ، فبدأ لأعداء الله أن من المستحيل أن يكون ما قاله الرسول صوابا ولاحت عليهم علامات الانتصار وهم ذاهبون مع أبى طالب الى الكعبة لرؤية ما وصلت اليه الصحيفة .. ثم نظروا فاذا هى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . فسقط في ايديهم وتولاهم الدهول .. وألغى العهد .. ورجع بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى مساكنهم .

وكان خروجهم من الشعب فى السنة العاشرة من البعثة المحمدية على صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم .



عام الحزن

وما كادت محنة الحصار تنتهى حتى تلتها محن أخرى ، فقد مات عقب المحنة بأيام عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب ، حامى الرسول وكافله . . ووليه بعد وفاة والده .

وبعده بأيام توفيت خديجة بنت خويلد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففقد النصير بموت عمه وفقد الأنيس بموت زوجه خديجة .

« لقد كان أبو طالب حصناً حصيناً يحوط رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع نواحيه ، ويدفع عنه كثيراً من الأذى والضرر ، وكانت خديجة سكنه الذى بأوى اليه ويستجير به كلما كربه الهم ، وضاق صدره بما يلقى من عناء القوم فيجد عندها الفرج والراحة والعزاء . .

فلما مات أبو طالب وخديجة اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان عظيمتان : فقد النصير ، وفقد الحجر ، فاشتد به الحزن وبلغ منه كل مبلغ ، حتى لقد سمي هذا العام « عام الحزن » .

نعم ، كان موت أبى طالب مصيبة كبرى ، فقد انكشف بموته ظهر محمد للقوم ، ووجدت قريش منفذاً لله ، فنالت منه ما لم تكن تنال فى حياة أبى طالب ، وتعرض له سفهاؤها يؤذونه بالسنتهم وأيديهم .

وكذلك كان موت خديجة مصيبة أخرى ، فقد تركت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فراغاً أحس به احساساً قوياً وحزن بسببه حزناً شديداً وغلب عليه الوجد حتى خشى عليه . لقد غدا البيت بموتها خلاء موحشاً لا أنبس .. ولا سميع !! أين منه ذلك القلب الكبير الذي كان يشكو إليه فبزيل عنه الآم الشكوى .. ويركن إليه فيواسيه ؟ .. أين منه ذلك العقل الحصيف الذي كان له وزير صدق في السدة والرخاء ، وعونا يستعين به على البأساء والضراء ؟ أين منه تلك النفس المخلصة ، التي حملت عنه أنقاله وشاطرته كلاله وآماله ؟ أين منه خديجة تلك الزوج الوفية التي آمنت به حين كفر الناس ، وصدقته حين كذبه الناس ، وأغنته بماها ، وآزرته بآراها وعزيمتها ؟ أين منه ذلك الجو الأنيس الذي كان يغمره بالحب والحنان فيمسح عنه أشـسـجانه ويمده بالعزم والقوة ، ويعينه على هؤلاء الكفرة القساة .. لقد ذهب هذا كله بذهاب خديجة وأبى طالب .. فكان حرياً أن يشـتد به الحزن وأن تستبد به الوحدة .. حتى يجد الله له من همه مخرجاً ومن ضيقه فرجاً ..

وقال صاحب « السيرة النبوية والآثار المحمدية » : لما مات أبو طالب استتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبى طالب ، فدخل صلى الله عليه وسلم يوماً بيته والتراب على رأسه فقامت إليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه .. وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها « لا تبكى يابنية فان الله مانع آباك » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

في الطائف

واتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عليه يجد بين أرجائها صدى لدعوته عندما يجد فيها الأذن الصاغية الواعية، والقلب المفتوح الذي يستجيب الله وللرسول اذا دعاه لما يحييه .

وكانت قبيلة « ثقيف » بالطائف أول من فكر عليه الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله .. يعرض عليهم دين الحق ويطلب النصر والمنعة فيهم حتى يبلغ رسالة ربه بعد أن تنكرت له قریش ومكث في أرجائها عشرة أيام يدعو الى عبادة الله الواحد الأحد ، فلم يستجب له أحد ، وكرهت ثقيف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وقالت له : اخرج من بلدنا والحق بمن شئت فانا نخاف أن تفتن الناس عن دينهم .

وكما لم تكن ثقيف كريمة في استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن كريمة كذلك في تشييعها اياه ، فقد اغروا به سفهاءهم وسلطوا عليه عبيدهم يطاردونه ويسبونونه ويقذفونه بالحجارة حتى دमित قدماه الشريفان .

وترك الطائف وهو يشكو اليه ما لاقاه ، رافعاً يديه قائلاً :
(اللهم انى اتسكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا ارحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين وأنت ربى ؛

الى من تكلنى ؟ .. الى بعيد يتجهمنى ؟ أو الى عدو ملكته امرى ؟
ان لم يكن بك غضب على .. فلا ابالى .. ولكن عافيتك اوسع
لى .. اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر
الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ،
لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله) .

فلا عجب بعد كل هذه الصور من المآسى .. والاحزان أن
سميت تلك السنة العاشرة سنة الآلام والاحزان ..

واستمر الأمر على ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يجاهد
ويجالد ويكافح وينافح .. واعداء الله يصدون ويستكبرون
ويعتدون .. والله العليم الحكيم مع رسوله الكريم يواسيه ويسليه
ويصبره ويشبته :

(لا تحزن عليهم) (وأصبر على ما يقولون) (وأصبر
وما ضل بك الا بالله) (لست عليهم بمسيطر) (ان عليك
الا البلاغ) (ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

والداعية يشق على نفسه ، ويعمق فيها أخايد من ألم ومرارة
ان جابهه التكذيب .. فلا عجب أن انتاب قلب رسولنا صلى الله
عليه وسلم نوبات من حزن وأسى .. من هؤلاء الذين أعرضوا وهو
الحريص على هدايتهم . وكان لابد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم من أجواء .. وآفاق .. أجواء تبدد الألم وتجدد الطاقة
وآفاق .. تنزيل وتذيب همه وما ألم به . وتشرح صدره وتبدد
أسفه وأساه .

وما أن مضت هذه السنة العاشرة بأحمالها وآلامها .. وأقبلت
السنة الحادية عشرة من مبعثه صلى الله عليه وسلم حتى حدث
حادث ارتجت له الأرض واهتزت له السماء حدث رحلة الأرض ..
ورحلة السماء .. رحلة الاسراء والمعراج .

تلك الرحلة التي حددها الله زمانا .. ومكانا .. وحددها
هدفا وغاية .

**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا .**

رحلة أرضية من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى
بالشام .

وعقبها مباشرة رحلة سماوية علوية من المسجد الأقصى الى
الملا الأعلى .. الى لقاء الله . وزمان الرحلتين لحظة من لحظات
الليل .

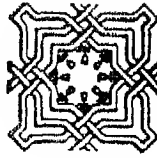
وهدفها (لنريه من آياتنا) .

**وأراه من جلال الملك وعظمة الملكوت .. ودلائل القدرة ،
وأسرار العلم والحكمة ما يعجز اللسان عن تبيانه وماتعيا العقول
عن ادراكه .**

وهذا تتجلى حكمة الاسراء والمعراج ، فلم تكن معجزة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل كانت استضافة له فى الملا

الأعلى وتكريما له .. وتسليبة وتسرية عنه ، ليطمئن قلبه وتستنبر بصيرته ويراد يقينه بهذه الآيات التي رآها مصداقا لقول الله (لنريه من آياتنا) ولقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

— رحالة فريدة وحيدة في دنيا البشر .. لم تقع لأحد قبله .
ولن تقع لأحد بعده ..



قُبَيْلَ بَدْءِ الرِّحْلَةِ
شَقَّ الصَّدْرُ



قييل بدء الرحلة تقول كتب السيرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء آت ففرج صدره ، ثم غسله بماء ، ثم جاء بوعاء ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره الشريف ثم أطبقه ، وعرج به الى السماء » .

وقد استبعد العقلانيون حادثة شق الصدر هذه .

ألا أننا في عصرنا الحديث الحاضر وبعقليته المتطورة وروحه العلمى ، وبواقعه الحضارى ، تؤيد حادثة شق الصدر هذه ، ونؤمن بالأحاديث النبوية الصحيحة التى وردت فيها ، ولا نرى فيها الا نوعاً من أنواع التهيئة الالهية ، لرسول بشر ، عندما يكلف بأمر غير عادى .. أمر معجزة خارقة للعادة .

فلاسرء والمعراج رحلتان الهيئتان لا تكونان طفرة .. بل لابد أن يسبقهما اعداد وتاهيل .

كما أن رواد الفضاء في عصرنا الحالى - والقياس مع الفارق - يعدون اعداداً خاصاً ، ويخضعون فيه لنواميس غير عادية ، وتمارين خاصة وتدريبات جسمية ونفسية ، ونظم معينة .. وتهيئة وتاهيل ..

فلا عجب أن كانت هناك في رحلة الاسراء والمعراج الى الملأ الأعلى تهيئة آلهية واعداد ربانى ولا عجب أن كان هناك شق صدر حسى ..

وجميع الأحاديث التي وردت في حادثة شق الصدر صحيحة
مقبولة ٢١

وإذا كانت كذلك واتفق الرواة على توثيقها وقبولها فهي تبطل
كل الدعاوى الكاذبة المبطلّة والشبهات الزائفة المغرضة التي
يشيرها أعداء الاسلام ومن دار في فلکهم ..

ولزيد من العلم نقول : أن حادثة شق صدر النبي صلى الله
عليه وسلم قد تكررت أربع مرات :

الأولى : وهو طفل صغير في أوائل العام الثالث من عمره صلى
الله عليه وسلم حيث وقعت له بعد عودة مرضعته حليلة السعدية
به صلى الله عليه وسلم من عند أمه بشهر ، وقد حصل ذلك في
ديار بنى سعد .

الثانية : وهو صبي في سن العاشرة من عمره .. وكان في
مكة المكرمة .

الثالثة : وهو في سن الأربعين عند المبعث قبل أن ينزل عليه
جبريل بالقرآن الكريم .

الرابعة : وهو في سن الخمسين ليلة الاسراء والمعراج .

وقد ورد في كل منها حديث صحيح أو أكثر ..

وقد يتساءل البعض عن الحكمة في تكرار شق الصدر ..

حكمة تكرار حتى الصدر

وتلخيصاً لأقوال العلماء قدامى ومحدثين عن الحكمة في شق الصدر نقول :

ان المرة الأولى : في زمن الطفولة ، كانت ، لينشأ صلى الله عليه وسلم كامل الأحوال معصوماً من الشيطان ومن وساوسه ونزغاته ..

وكانت الثانية : في سن البلوغ والتكليف لزيادة تطهير قلبه الشريف حتى لا يلتبس بشيء مما يعاب به من هم في هذه السن .

والثالثة : كانت عند المبعث زيادة في التكرمة ليتلقى ما يلقي اليه بقلب قوى في أكمل الأحوال من التطهير (أنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) .

والرابعة : كانت ليلة الأسراء والمعراج ، ليتأهب للمناجاة واستعداداً لما يلقي اليه في هذه الليلة الآلهية من أنواع الفتوحات الربانية التي تحتاج الى شرح الصدر ونقائه ، وقوة القلب وثباته .
وها هي ذى بعض الأحاديث والأخبار الصحيحة الواردة عن كل مرة .

عن المرة الأولى : تقول حليلة السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم : بعد مقدمنا بشهر من مكة ، مع أخيه ورفيقه في الرضاع - وكنا في بهم (أى قطيع من الغنم) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد في سيره قائلاً لى ولأبيه (زوج حليلة) :
ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعه ..
فشقاً بطنه ، وهما الآن يسوطانه (أى يحركانه) فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً متغيراً وجهه .. فالتزمته .. والتزمه أبوه .. وقلنا له : مالك يا بنى ؟

قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني ، وشقوا بطني فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو .. فرجعنا الى خبائنا وعند رجوعنا قال لى أبوه :

ياحليمة : لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر عليه اثر ذلك .

فأحتملناه ، وقدمنا به الى أمه التى قالت عندما راته : ما جاءك به ؟ وقد كنت حريصة عليه وعلى مكتة عندك ؟ فقلت : قد قضيت مهمتى .. وأخاف الأحداث عليه ، فأدبته الآن عليك كما تحبين .

قالت : ما هذا شأنك !! فأصدقيني خبرك .. ولم تدعنى حتى أخبرتها ، فقالت : أو تخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لابنى لشأنا أفلا أخبرك به ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام .. ثم حملت به فوالله ما حملت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه .. ووقع حين ولادته وهو واضسع يديه على الأرض ورافع رأسه الى السماء أن سمعت صـوتـا يقول : دعيه عنك وانصرفي راشدة .

وعن المرة الثانية وهو فى سن العاشرة :

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟

قال : انى لفى صحراء أمشى وأنا ابن عشر حجج ، اذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : اهو .. هو ؟ قال : نعم . فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أرها من خلق قط . وثياب لم أرها على أحد قط .. فأقبلا الى

يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى ، لا أجد لأحدهما
مسا ..

فقال أحدهما لصاحبه : اضجعه .. فأضجعاني بلا قصر ..
ولا عصر (١) .

وقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره .. فهوى أحدهما الى
صدرى ففلقه بلا دم ولا وجع ثم قال : شق قلبه : .. ولما شق
قلبي قال لصاحبه : أخرج الفل والحسد منه فأخرج شبه العلقة
فنبذ به .. ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة في قلبه فأدخل شيئاً
كهية الفضة ، ثم أخرج زوراً كان معه فذره على ، ثم نقر ابهامي
.. ثم قال : اغد ، واسلم . فرجعت بها أغدو رأفة على الصغير
ورحمة للكبير .

وعن الشق الثالث لصدره الشريف وردت احاديث عدة
نقتطف منها ذلك الحديث الذي روته السيدة عائشة : من أن النبي
صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة فوافق
ذلك شهر رمضان ، فخرج ذات ليلة ، فسمع : السلام عليك ،
ثم خرج في يوم آخر في رمضان نفسه ، فاذا بجبريل على الشمس
له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، فهبط الى الأرض . وألقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قفاه ثم نسق عن قلبه ،
فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ، ثم غسله
في طست من ماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ، ثم ألامه ، ثم ختم في
ظهره حتى وجد مس الخاتم في ظهره .

(١) وفي رواية : بلا قسر ولا هصر ، والقسر = الاجهاد ، والهصر = الجلب ،
والمعنى لم يشقبا ظهري ولم يكرهاني .

• وعن الشق الرابع لصدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج وردت أحاديث رواها الامام البخارى والامام مسلم .
روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج به إلى السماء » .
ولعل قائلًا يقول : ما الحكمة في شق الصدر . . صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع القدرة على أن يمتلأ قلبه إيمانا وحكمة من غير شق ؟

أجيب عن ذلك : بأن الحكمة في ذلك هي زيادة قوة اليقين عنده ، لأنه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس حالًا ومقالًا ، ولذلك وصف بقوله (ما زاغ البصر وما طفى) .

وللاستزادة من الحديث عن هذه الاحاديث التي وردت في شق الصدر وحكمتها وما ترمز اليه وإبطال دعاوى المستشرقين تجاهها . . صدرت كتب حديثة - فضلا عن المراجع والمصادر القديمة - من هذه الكتب الحديثة كتاب (دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم) للامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكتاب : (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة) للمرحوم الدكتور محمد أبو شهبه .

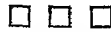
وكتاب (دلائل السيرة النبوية في بيان الآيات القرآنية ، من جذور الاصطفا الى بشائر المبعث العظيم) لمؤلفه : الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الشافعى .

بدء الرحلة

وبدأت الرحلة الالهية المباركة من « مكة » من البيت الحرام . .

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم « البراق » وبجانبه
سفير السماء جبريل عليه السلام والبراق (صاروخ آلهى) ان
جاز هذا التعبير ، ولعل لهذه المركبة الالهية من اسمها نصيب يدل
على سرعتها ، (فهى براق من برق وما يستتبع ذلك من سرعة
البرق) وكتب السنة النبوية تُصِفُها بأنها دابة بيضاء تضع حافرها
عند منتهى طرفه وان كان العقل العربى ، فى عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد استبعد أن ينطلق مسافر من مكان ليلا الى
مكان قصى ويعود فى نفس الليلة . . وأنكر أن تختزل المسافات
ويختصر الزمن ، وقال المنكرون : مسافة تقطعها فى شهرين ذهابا
وعودة يقطعها محمد فى لحظات !!

الا أننا فى عهدنا هذا . . عهد الصواريخ والطائرات التى تسبق
الضوء والصوت نسخر بدورنا من هذه العقليات التى سسخرت
بالبراق ، واستبعدت اختزال المسافات واختصار الزمن .
وليت منكرى الأمس كانوا معنا اليوم ليروا الادلة الحسية
التي قدمها الزمن بطائرانه وقذائفه ومخترعائه على صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم .



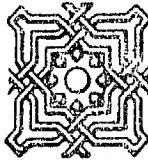
ووصل الركب المحمدى الملائكى فى لمحة ، بل فى أقل منها الى
« بيت المقدس » والتقى امير الانبياء وخاتم المرسلين بالانبياء . .
وصلى بهم اماما « لقد كان الاسراء رحلة مباركة فى الارض ، بين
المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسماعيل ، والمسجد الأقصى
الذى بناه داود وسليمان ، وهما البيتان اللذان باركهما الله تعالى

وبارك ما حولهما فكانا مقر عبادة الله وتوحيده ، وكانا مهبط الوحي على رسله وأنبيائه .

وقد مر عليه الصلاة والسلام في رحلته الأرضية هذه بالبقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهي (طور سيناء) فصلى بها ركعتين . . ومر بالبقعة المباركة التي ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهي (بيت لحم) فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى في حشد من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به إلى السماء . . فرأى من آيات ربه الكبرى ما شاء الله له أن يرى (١) » .

ويروى ابن هشام الحكمة في حادث الاسراء ، فيقول :

« وكان في مسراه وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الالباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كما شاء وكيف شاء ، ليريه من آياته الكبرى ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد » .



(١) من كتاب : صور من حياة الرسول . للاستاذ أمين دويدار .

رحلات المراجع

وما أن انتهت زيارته صلى الله عليه وسلم لبیت المقدس ..
حتى بدأت الرحلة الثانية ، رحلة العروج الى السموات العلى ..
رحلة اللقاء بين الله ومحمد وفي كل سماء كان محمد يرى عجبا ..
وصورا .. ونماذج .

ولا تكون مبالفين ولا مغالين ولا نسير في متاهات بعيدة عن
الحق اذا ما حكمنا بأن ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
معاوجه من صور ومشاهد انما كان ذلك شرائح وقطاعات حقيقية
من الحياة البرزخية التي يعيشها ويحيها أهل البرزخ في برزخهم ،
أراها الله اياها تكزما له وتسليية وتسرية لتهدا نفسه وليدوم على
الجهاد والجلاد ويشب على الدعوة مهما لاقى في سبيلها من عنت
ومشقة .

ولاجل أن تؤيد متجهنا هذا نسوق الاحاديث الشريفة
الصحيحة التي وردت في رؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
لهذه الحياة البرزخية :

أخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام قائما يصلى
في قبره ، والأنبياء أحياء في قبورهم يحيون حياة برزخية .. التقى
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث معهم .. وصلى بهم .
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليلة أن أسرى بي
التقيت في السماء بابراهيم فقال لى : يا محمد أقرىء أمتك منى
السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وانها قيعان (١)
وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر .

(١) قيعان : أى : أرض مستوية .

ومن حديث أخرجه الامام مسلم فيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وقد رأيتني في جماعة من الانبياء ، فاذا موسى قائم يصلي ، فاذا رجل ضرب (١) جعد كأنه من رجال شنوءة (٢) ، واذا عيسى بن مريم قائم يصلي ، أقرب الناس به شبيها عروة ابن مسعود الثقفي .. واذا ابراهيم قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمامتهم .. » .

والانبياء أحياء في قبورهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (افضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثرُوا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على . قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (٣) ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ان الله حرم على الأرض ان تأكل جسد الانبياء .

وقال عليه الصلاة والسلام : من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على غائبا بلغته .

(وأن الله تعالى ملكا أعطاه الله أسماع الخلائق قائم على قبري فما من أحد يصلي على صلاة الا بلغتها) فالانبياء أحياء في قبورهم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لموسى وبرؤيته الانبياء وحديثه معهم وصلاته بهم .

أما الصلاة التي كانوا يصلونها .. فلم تكن فرضا ولا تكليفا وانما كانت شكرا وحمدا لله تعالى على نعمه .

ورأى ملك الموت عزرائيل ، وشاهد ضجاعته .

(١) الضرب من الرجال : هو الخفيف اللحم .

(٢) شنوءة : قبيلة من قبائل العرب .

(٣) أى : بلى جسده .

ورأى ملك الدمع الذى بكى خطايا المذنبين .
ورأى ملائكة مختلفة فى أحجام مختلفة وهيئات متباينة ..
وفى البرزخ شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من
المشاهد البرزخية :
رأى منزل ودرجات العابدين العاملين .. ورأى دركات
المخالقين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الالهية ، أو تهاونوا فيها ،
أو تشاقلوا عنها ..
رأى أعداء الدين وما يلافونه ، وأعداء المجتمع وما يكابدونه ،
ورأى المنافقين .. والذين يقولون ما لا يفعلون ..
ورأى الندماء والوعاظ « اللسانيين » الذين لم يتجاوزوا الايمان
حناجرهم ..
ورأى عقاب المغتابين ، والزناة ، وآكلى مال اليتامى ..
ورأى الخونة مضيعى الامانات وأعداء الانسانية ..
ورأى آكلى الربا الذين ماتت فيهم أحاسيس الانسانية
ومشاعر الاخوة ..
وشاهد طوائف من مؤمنى كل عصر ينعمون ويسعدون .
وفى مسراه صلى الله عليه وسلم شمم رائحة طيبة ، فقال :
ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون
وأولادها (١) .

—————

(١) قصة ماشطة بنت فرعون يرويها الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه
« الاسراء والعراج » فىقول : « أهذه القصة فإننا نرويها على نحو غير ما عهد
فى الروايات ، وإن كان الجوهر واحد ، لقد شمم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرائحة الطيبة وسأل عنها جبريل ، فأخبره أنها رائحة ماشطة بنت فرعون
وأولادها .. بينما كانت تمشط شعر بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت :

وفى لحظات ، بل فى لمحات ترقى محمد صلى الله عليه وسلم فى معراجہ ، اختزل الزمن وقطع بحارا شاسعة ومناطق وأودية ضياء ، وأودية ظلمة ، واخترق الحجب من ظلمات وماء ونار وهواء الى أن التقى بالله ورأى ما يعجز اللسان عن تبيانه وما يعيا الفهم عن تصويره وأدراكه (١) .

واجابة عن سؤال ، قد يبدو هنا ، مؤداه : كيف يرى حى حياة أموات ؟

نقول : ولعل الاسراء بروح محمد صلى الله عليه وسلم وبجسده فى تلك الرحلة الالهية الخاصة بمحمد عليه السلام كان بمثابة انتقال من حالة مادية الى حالة روحية ، وانتقال من أجواء بشرية الى أجواء برزخية ، كما تنتقل وتسرى روح المتوفى من حالة الى حالة ومن أجواء الى أجواء (٢) .

يسم الله تعس فرعون . فقالت ابنة فرعون : أولك رب غير أبى ؟ قالت : نعم . قالت : أماخير أبى بذلك؟ قالت : نعم . فأخبرته فدعاها فقال : أولك رب غيرى ؟ قالت : نعم : ربى وربك الله . وكان للمرأة الماشطة زوج وثلاثة أولاد أصغرهم رضيع ، فأرسل اليهم ، فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا فقال : انى فالتكما فقال : احسانا منك ان تفلتنا أن تجعلنا فى مكان واحد فتدفنا فيه جميعا . فقال : لك ذلك بما لك علينا من حق . وأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فآلقوا فيها واحدا واحدا حتى بلغ الرضيع وكانت أمه تحمله ولشفتها عليه تلكات وكادت ترجع لوافقة فرعون فقال الصغير (يا امى فمى ولا تنقاعسى فانك على الحق) . فكان هذا الرضيع ممن تكلموا فى المهد خرقا للعادة » .

(٢٤١) الصفحات من ٧ الى ٥ . من كتابنا (الحياة البرزخية فى القرآن) نشر دار الشعب .

عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى

لِقَاءِ بَيْنِ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ



ثم صعد جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم الى ما بعد السماء السابعة حتى وصلا مكانا به (بشارة المنتهى) .

وعندها رأى الرسول صلى الله عليه وسلم من المشاهد والآيات الالهية ما لا يمكن وصفه .. ورأى جبريل تتغير هيئته فجأة .. ويظهر على حقيقته التى خلقه الله عليها .

وقال لمحمد معذرا : الى هنا وينتهى صعودى منك ، ولو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت ، ولكل منا مقام معلوم .. ومكان لا يتخطاه .. فتقدم أنت وتابع معراجك المبارك واصعد محاطا بنور من أنوارك .

وتقدم محمد .. وتقدم وحده للفاء ربه وتابع اختراق الحجب التى تحول دون رؤية المسائر .. الى أن وصل الى حجاب الوحدة .. فرأى ما لا تراه الأعين ولا يحظر على قلب بشر .. لم تكن حاسة بصره الجسمانية تتحمل هذا البريق الذى يخطف الابصار ففتح الله عينى قلب محمد ليمنحه القدرة على مشاهدة هذا الجمال اللانهائى .. ثم قربته الله من عرشه حتى أصبح (قاب قوسين أو أدنى) .

ولما شاهد نور ربه قال : التحيات الله والصلوات الطيبات .

فرد الله عليه : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .
وردت الملائكة : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وظل محمد يناجى ربه .. ويتوجه اليه بالشناء والدعاء ، وعن هذا يقول الله :

ثُمَّ تَأْتِي ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١٠

(سورة التلجم الآيات ٨ - ١٠)

عن هذا اللقاء وعن تلك المناجاة ، يقول الامام الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه (دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم) (١) : « .. ولانه صلوات الله وسلامه عليه اكمل رسول ، كان من أجل ذلك - أقرب المقربين الى الله سبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضيين والسموات العلا .. وتجاوز الكون كله ووصل الى ما لم يصل اليه بشر ، بل الى ما لم يصل اليه جبريل نفسه ، عليه السلام .

لقد وصل صلوات الله عليه الى (قاب قوسين أو أدنى) .. لقد تجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك وتجاوز الكون كله الى سيدة المنتهى .. الى شجرة النهاية ثم الى حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبي مرسل : الى قاب قوسين أو أدنى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى - هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

كذلك ينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن جعفر الصادق -
عليه الرضا - قوله عند قوله تعالى : « **فأوحى إلى عبده
ما أوحى** » . انه قال : لما قرب الحبيب غاية القرب ، نالته غاية
الهيبة ، فإلطفه الحق سبحانه بغاية اللطف ، لأية لا تتحمل غاية
الهيبة إلا بغاية اللطف ، وذلك مثل قوله تعالى : « **فأوحى إلى
عبده ما أوحى** » .

أى : كان ما كان .. وجرى ما جرى .. قال الحبيب لحبيبه
ما يقوله الحبيب لحبيبه ، وألطف به الطاف الحبيب بحبيبه ،
وأسر إليه ما يسر الحبيب إلى حبيبه ، فأخفيا ، ولم يطلعا على
سرها أحدا .

ويعقب الدكتور عبد الحليم على ذلك بقوله :

والى هذا ونحوه يشير ابن الفارض بقوله :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا

سر أرق من النسسيم اذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا : فيقولون : يدنو الله عز وجل من
النبي صلى الله عليه وسلم ودنوه - سبحانه على الوجه اللائق .

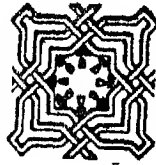
وقال بعضهم فى قوله تعالى : « **ما زأغ البصر وما طغى** » .

أى ما زأغ بصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما التفت إلى
الجنة ومزخرفاتها . ولا إلى الجحيم وزفراتها ، بل كان شاخصا
إلى الحق ، وما طغى على الصراط المستقيم .

وقال أبو حفص السهروردي : (ما زأغ البصر) حيث لم

يتخلف عن البصيرة ، ولم يتقاصر .. (وما طفى) لم يسبق
البصيرة ويتعد مقامه .

ثم يختتم الدكتور عبد العظيم حديثه هنا فيقول :
وما من شك في أن المشاهدة أنواع وألوان .. والمشاهدة هنا
على الوجه اللائق ، أما كيفيتها فلا يعلمها إلا الله ورسوله (١) .



(١) صفحة ٣٣٩ من كتابه (دلائل النبوة ومهجرات الرسول صلى الله عليه وسلم)

رؤية الله .. والممرات

« وهنا يستشكل الأمر على بعض الناس فيقولون ، وهل الله عز وجل مكان ، حتى يعرج اليه فيه رسوله ؟ .. قد نستطيع أن نسلم بأن الاسراء به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ممكن ، لأننا الآن نرى الطائرات تقطع هذه الرحلة ذهابا وإيابا في بضعة ساعات .

وقد نستطيع أن نسلم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج الى السماء ، لما نراه الآن من محاولات العلم الحديث في الوصول الى الكواكب .

وقد نستطيع كذلك بأن نسلم بأن ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حياة البرزخ ، ومن صور الاعمال ومن عجائب الكون حق ، لأن خبره صادق لا يقبل الشك .

ولكن كيف نستطيع أن نسلم بمثوله صلى الله عليه وسلم في حضرة ربه ذي الجلال والاکرام عند سدرة المنتهى ؟ أليس معنى هذا أن الله — جل جلاله — مكانا ، وأنه — سبحانه — في السماء السابعة أو فيما وراءها ؟ .

والأمر في حقيقته غير مشكل .

ولكن نحن الذين أشكلناه على أنفسنا ، لأننا أخضعناه لمدركاتنا الحسية ، وحكمنا فيه العقل الذى ليس من شأنه أن يحكم فى مثل هذا الأمر . فالله — سبحانه وتعالى — ليس بعيدا عن رسوله حتى

يقطع الرسول للقائه هذه الأبعاد الشاسعة في السموات العلى ، بل هو معه حيثما كان ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، بل هو قريب من عباده جميعا يسمعهم اذا دعوا . . ويجيبهم اذا سألوا ، ويكون معهم أينما كانوا : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » . وهو الذى يقول لرسوله :

« واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

(الآية ١٠٦ من سورة البقرة)

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يبالغوا في رفع أصواتهم حين رأى جماعة منهم يجأرون بالتكبير يوم (خير) فقال : (أربعوا على أنفسكم : أى ارفقوا بأنفسكم ولا تبالغوا في رفع أصواتكم) فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم) .

فلم يكن الغرض من العروج - اذن - أن يلقي محمد ربه في مكان بعينه ، إنما كان ذلك ، ليرى من ملكوت الله ما شاء الله أن يرى ، وليطلع من عجائب صنعه على ما شاء الله أن يطلع ، وليشهد من سعة ملك الله وجلال سلطانه وعظيم قدرته ما يزيد يقينا على يقين ، وايمانا على ايمان ، وليستشعر المنزلة الكريمة والدرجة الرفيعة التى أعدها له ربه ، والا فقد كان فيما يوحى إليه ربه على لسان أمينه جبريل كفاية وغناء (١) .

(١) من كتاب (صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم) لأمين دويدار
صفحة ٦١٠ / ٦١١ .

وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه (الأسراء والمعراج) يجيب عن تساؤل وجه اليه ، يقول : هل اذا ذهبنا الى القول بدنو الرسول صلى الله عليه وسلم من الله أو دنو الله منه الا يوجد معنى التجسد أو التحيز ، والله سبحانه منزّه عن ذلك ؟

قال : نحن قد قلنا ان الله موجود ، وأنا موجود ، فهل وجود الله كوجودى ؟ أنا أعلم الآن أننى ! تحدث فى حلقة فى التليفزيون والجمهور معى ، والله يعلم ذلك ، فهل علمى كعلم الله ؟!

وأنا مثلا أوصف بأننى حى ، والله يوصف بأنه حى ، فهل حياة الله كحياتى ؟

اذن لماذا نفسر أن دنو الله وتدليه ، أو دنو الرسول وتدليه كدنى أنا وتدلىنى ؟ وما دمنا قلنا (سبحانه ..) فاذا أوجد شيء لله مثله البشر ، فلا بد أن ننسبها الى سبحانه الى الأصل فى سبحانه ، فاذا كان الله قد وصف بأشياء مثل (**استوى على العرش**) .. ونحن لنا استواء أيضا على الكرسي ، فلا نقول أن استواء الله سبحانه وتعالى كاستوائى ، لأننى لم أقل أن وجوده كوجودى ، ولا علمه كعلمى ، ولا غناه كغنائى ، ولا حياته كحياتى ، لماذا ؟ قالوا الآن الدنو والتدلى من صفة الأجرام ، والله منزّه عن الجرمية .

فيجب أن نأخذ الفعل بالنسبة أيضا لفاعله .

وعلى فرض أن الله هو الذى دنا فتدلى ، أو أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ، كما فى الحديث .. « فيقول : هل من تائب فاتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له » .

فلا أتصور النزول بأنه تنزل كتنزلى ، لماذا ؟ لأننى عندى إطار عام ، وهو أنه سبحانه وتعالى (**ليس كمثله شيء**) .

فاذا أوجد وصف لله ، ووجد وصف مثله للبشر ، فيجب أن
أقرن الوصف بالله ، لأنه ليس كوصفى ، والله منزّه عن أن تكون
(ذاته كذاتى ، وفعله كفعلى ، وصفاته كصفاتى) .

وفى صفحة ٦١ من كتابه ذلك ، قال : ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم - فى هذه المسألة - (أى الاسراء والمعراج) تعرض
لثلاث مراحل : المرحلة الأولى - كان بشرا وجبريل يرى (بضم
الياء) محمدا صلى الله عليه وسلم الأشياء ، يسأله الرسول
ما هذا يا جبريل ؟ فيقول له : هذا كذا .. وكذا ..

لكنه لما صعد الى السماء كان يرى المراتى فلا يستفهم من
جبريل عنها ، ويسمع فيفهم ، اذن فقد تحول شيء فى ذاتية
محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت له ذاتية فاهمة
بلا واسطة جبريل ، وراثية بلا واسطة أحد .

ففى الأرض اراءة .. أما فى السماء فقد رأى بالرؤية .

ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل الى مرحلة يكون فيها ملائكة
كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخطبهم ويفهم ..

يأتى بعد ذلك فى منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى ، فينتهى
حد جبريل ، ثم بعد ذلك يزج برسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سبحات النور ، ولم يكن جبريل معه .

وهذا دليل على أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى
ارتقاء آخر ، ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة
المنتهى ، الى شيء من الممكن أن يتحمل الى ما وراء سدرة المنتهى
دون مصاحبة جبريل عليه السلام .

اذن ، فمحمد كان بشرا في الأرض مع جبريل ..
وبعد ذلك كانت له ملائكة مع الرسل ومع جبريل في السماء .
وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقى به عن الملكية ، حتى أن
جبريل نفسه يقول له : إذا لو تقدمت لاحترقت — وأنت لو تقدمت
لاحتترقت ..

فذاثية — محمد حصل فيها شيء من التغير .. التغير الذي
يناسب ذلك الملائ الأعلى ، فجبريل بملائكته لا يستطيع أن يخرق
والا احترق ..

أما هو فيستطيع أن يخرق ..

وعلى هذا فثلاثة أشياء حدثت لمحمد :

بشرية في الأرض معهودة بالمدد ..

وبعد ذلك ملائكة في السماء ، قبل سدرة المنتهى .

ثم بعد ذلك ملائكة فوق الملائكة ، وهي التي كانت بعد سدرة
المنتهى ، يصير فيها « قاب قوسين أو أدنى » ، ويتعرض فيها إلى
خطاب الله ، وإلى رؤية الله . . .

(على خلاف بين العلماء في ذلك) . . .

وعن هذا الخلاف الذي ختم به فضيلة الشيخ الشعراوي
حديثه الجيد الجديد يقول فضيلة الشيخ صفى الرحمن
المباركفوري — بالجامعة السلفية بالهند في كتابه (الرحيق المختوم
بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)
يقول في صفحة ١٥٧ (ذكر ابن القيم خلافا في رؤيته صلى الله عليه
وسلم ربه تبارك وتعالى ، ثم ذكر كلاما لابن تيمية بهذا الصدد .

وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تنبت أصلا ، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة . وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقا ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافي الثاني) .

ونختتم هذا الحديث بحديث عائشة - رضى الله عنها - حينما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة له : كيف رأيت ربك ؟ فقال عليه السلام : نور أنى أراه .



العودة إلى مكة

وانتهى اللقاء بين الله .. ومحمد ..

وهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ..
وهبط معه الأنبياء تكريما له وتعظيما ثم ركب (البراق) وقد عاد
الى مكة وقد بدأ الظلام يجمع ظلاله ويخفى سواده ..
ثم نشر الضياء خطوطه وأنواره وخيوطه .. وبدأت تدب
الحياة معه في نواحي مكة وأرجائها .

وعن ابن عباس فيما رواه الامام أحمد قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لما كانت ليلة أسرى بي ، وأصبحت بمكة
فظعت مكة أمرى .. وعرفت الناس مكذبي » .

قال : فمر عدو الله أبو جهل .. فجاء حتى جلس اليه وقال
مستهزئا : هل كان من شيء ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : نعم . قال : وما هو ؟ قال : انه أسرى بي الليلة . قال :
الى أين قال : الى بيت المقدس - قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟
قال : نعم . قال : أرايت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني ؟
فقال : نعم .

وفي طرقات مكة سار « أبو جهل المخزومي » أعدى أعداء
الاسلام وأخذ يصيح بأعلى صوته : يامعشر قريش ، اسرعوا
لتسمعوا نبا عجبا ، نبا طلع به علينا محمد صباح اليوم يحدث به
أصحابه ، .. وفي نبرات استهزائية تابع قوله قائلا :

- يامن صدقتم محمدا ، وآمنتم بكلامه اسمعوا ما يقوله
اليوم لتعلموا ان صاحبكم قد أصابه مس من الخبل والجنون !!

ومن شعاب مكة ، ومنازلها ، وطرقاتها تجمع الناس ، والتفوا حول ابي جهل . .

وكانوا خليطاً ، منهم مسلمون ، وأكثرهم وثنيون يتطلعون في شوق ولهفة الى ما وراء صيحات ابي جهل . وتعلقت أنظار الجميع بأبي جهل الذي سألهم قائلاً :

— كم تستغرق الرحلة من ديارنا الى بلاد الشام ؟

أجابه واحد منهم : مسيرة شهرين ، شهر للذهاب وآخر للعودة .

فقال أبو جهل — ان كان ما أخبرنا به محمد من قبل عجباً ، فان ما أخبرنا به صباح اليوم أعجب وأغرب . . قابلته منذ لحظات ، فسألته :

هل هناك نبأ جديد من أنباءك التي تديعها كل وقت على قريش ؟

فأخبرني انه ذهب في الليلة الماضية في رحلة من مكة الى بيت المقدس بالشام ، ثم عاد في لحظات الى مكة !!

وانطلقت صيحات التكذيب من أتباع ابي جهل . . وارتسمت على شفاههم ابتسامات السخرية . . وصفقوا وقالوا لمن حولهم من المسلمين :

ما رأيكم فيها يزعمه صاحبكم ؟ وما طلع به اليوم ؟

ولزم أصحاب محمد الصمت ، وانسحبوا متوجهين الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستطلعوا منه الخبر .

وتقول كتب السيرة النبوية انه : في يوم الحديث عن الاسراء ارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى ابي بكر وقالوا له : هل لك — ياأبا بكر بما يقوله صاحبك ؟ يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة . .

فقال لهم أبو بكر : انكم تكذبون عليه .

فقالوا : لا ، ها هو ذاك يحدث الناس به .

قال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فوالله انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد مما تصجبون منه .

وتوجهوا الى حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال أبو بكر : يابى الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

وقال بعض المشركين الذين كانوا قد ذهبوا الى بلاد الشام فى التجارة ورأوا بيت المقدس أكثر من مرة ، قالوا مريدين اعجاز النبى صلى الله عليه وسلم :

— إن كنت رأيت بيت المقدس بالأمس ، فصفه لنا ، فنحن ادرى الناس به وبما فيه .

ولكى يصفه النبى عليه الصلاة والسلام وصفا دقيقا وضع الله سبحانه امام عينيه فى هذه الآونة صورة كاملة واضحة لبيت المقدس .. رآها الرسول وحده .. وظل ينظر اليها ويصف للمجتمعين حوله وصفا دقيقا للبيت وما فيه من نوافذ .. وأبواب .. وبناء .. وأثاث .

وكلما وصف شيئا يقول أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله ..

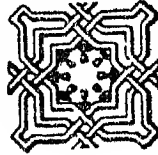
حتى انتهى ..

وعندئذ كبر أبو بكر وصاح فى فرح : ما بعد ذلك وصف ، لقد شاهدتم بيت المقدس مرارا ، ورأيتم ما فيه ، أما محمد فكلنا نعلم

انه لم يذهب قبل هذه الليلة الى بيت المقدس ومع ذلك فلم
يستطيع احد منكم ان يصفه هذا الوصف الدقيق الشامل ،
أو يعرفه هذا التعريف الا الرسول الصادق الأمين . . صدقت
يا رسول الله . . صدقت يا رسول الله . فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم : وأنت يا أبا بكر الصديق .

ومن هذه اللحظة أطلق أصحاب رسول الله على أبي بكر صفة
(الصديق) وأسموه : (أبا بكر الصديق) لمسارعته الى تصديق
محمد في هذا الوقت الذى كذبت فيه قريش محمدا ، وسخر
المشركون منه . . وفي هذا الوقت الذى ارتاب بعض المسلمين
ضعيفو الايمان في كلام محمد . فارتدوا الى الكفر .

اما الذين رسخت عقيدتهم وصدق إيمانهم فلم يروا في الأمر
عجبا ، فهذا الوحي ينزل عليه من السماء كل يوم ، فأى فرق
بين ان ينزل عليه جبريل بالوحي وبين أن يذهب به الى حيث
شاء الله أن يذهب ليتلقى من الوحي ما شاء الله ان يلقي اليه ،
وليرى ما شاء الله له أن يرى .



صلاة

((وفي تلك الليلة (١) .. ليلة الاسراء والمعراج فرضت الصلاة على النبي خمسة أوقات .

قال انس بن مالك : فرضت على النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلوات ، ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودي يا محمد ، انه لا يبدل القول لدى .. ان لك بهذه الخمس خمسين » .

خمس صلوات في العدد لهن ثواب الخمسين في الاجر .
وكان المسلمون في مبدأ أمرهم يؤدون صلواتهم على هيئة ادعية وابتهاالات من غير عدد محدد أو وقت متعارف عليه .. الى ان فرضت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في حضرة القدوس الأعلى .

« ولعلها كانت هي السر العظيم الذي أفضى به الملك الجليل الى عبده ورسوله ، فان الصلاة هي الصلة الدائمة بين العبد وربّه ، وهى لب العبادة وجوهرها ، وعماد الدين وركازه » .

فاذا ما توطدت هذه الصلة بين العبد وربّه كان أول مظاهرها ألا يذل إلا له ، ولا يستعين إلا به ، ولا يعمل إلا ابتغاء رضوانه .

ومن هنا كانت الصلاة أول ما فرض من فرائض الاسلام ، لأنها أول مظاهر التدين ، وأقوى وسائل الاتصال بين العبد وربّه ، فان وقوف العبد بين مولاه خاشعا متذللا متجردا من كل معاني الحول والقوة ، يدعوه .. ويناجيه .. ويستعينه ويستهديه ،

(١) من كتابنا (الرسول في القرآن) ص ٣٢ وما بعدها .

موقنا أنه - وحده - مصدر النعم ، وواهب القوى ، ومالك الأمر
في الدنيا والآخرة ..

ان وقوفه هذا ، على هذه الحال من الضراعة والخشوع ،
ومن التجرد والشعور بالضعف . ومن التذلل والابتهال في طلب
المعونة هو لب الدين وحقيقته ، وهو سر العبادة وجوهرها . من
اجل هذا كانت الصلاة عماد الدين ، وكانت المحافظة عليها واجبة
في السفر والاقامة ، وفي الأمن والخوف ، وفي الصحة والمرض .
وكان تكرارها خمس مرات في اليوم والليلة بدعيما لهذه الصلة .
والانسان بطبعه ضعيف لا يستطيع وحده أن يقاوم عناصر الشر ،
وهي كثيرة .. فإذا لجأ الى ربه ووقف بين يديه حائسا متضرعا
يستمد منه - وحده - العون والحول والقوة .. وجد منه الحماية
والأمن وتضاءلت أمامه القوى مهما عظمت ، وانهدمت له عناصر
الشر مهما كثرت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتمد به امر
أو اصابه هم فزع الى الصلاة ، ولعل هذا هو مرمى قوله تعالى :
« واستعينوا بالصبر والصلاة » .

والصلاة اذا اقيمت مستوفية الأركان والشروط وتحقق فيها
الخشوع الذي هو روح الصلاة واستحضر العبد فيها وهو مائل
بين يدي خالقه عظمه بارئه .. وقوته وقدرته .. وردد فيها آيات
من كلام مولاه يستحضر معانيها ويعيش في أجوائها ويتابع مضامينها
بعقله وقلبه ويقرأ بترتيل وحضور .. ويركع بخشوع ويسجد
بخشوع ونان .. كانت الصلاة المقامة التي أمر بها المولى عندما
قال (وأقيموها الصلاة) .

سئل (١) « حاتم الأصم الصوفي » عن صلاته وكيف يقيمها ؟
فقال :

إذا حانت الصلاة أسبغت وضوئي .. وأتيت الموضع الذي
أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي .. ثم أقوم
إلى صلاتي .. وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والجنة على يميني ،
والنار عن يساري ، وملك الموت من وراء ظهري ، وأظنها آخر
صلاتي ، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا
صليت فصل صلاة مودع) ..

ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر بتحقيق ، وأقرأ بترتيل ،
وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بخشوع .. ثم لا أدري
بعد ذلك كله أقبلت منى هذه الصلاة أم لا .. ؟ » .
هذه هي مواصفات الصلاة المقامة التي تنهى عن الفحشاء
والمنكر ، والتي يجد لها المصلي أثرا في سلوكه ووجدانه .

قال المولى (وأقيموا الصلاة) وقال (وأقم الصلاة) فالمولى
سبحانه لم يأمر بوجود صورة الصلاة ، أو بالصلاة فحسب ،
ولكنه أمر باقامتها .. واقامتها لا تكون الا بتحقيق روحها وروحها
الخشوع ، والخضوع ، وحضور الذهن والقلب .
وإذا خلت الصلاة من كل ذلك كانت في نظر الشرع غير مقامة ،
وكانت عملا آليا وحركات لا أثر لها في النفس ولا في السلوك ،
ولا أجر عليها في الآخرة . وتلف يوم القيامة ويقذف بها في وجه
صاحبها وتقول له : ضيعك الله كما ضيعتني .

هكذا جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما
قال (من صلى صلاة لوقتها ، وأسبغ وضوءها وأنم ركوعها

(١) من كتابنا (المؤمنون آيات واحاديث) صفحة ١٢ / ١٣ .

وسجودها وخشوعها عرجت (أى : صعدت) وهى بيضاء مسفرة
تقول : حفظك الله كما حفظتنى . ومن صلى صلاة لغير وقتها ،
ولم يسبغ وضوءها - أى لم يتم وضوءها - ولم يتم ركوعها
ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول :
ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما
يلف الثوب الخلق (القديم البالى) فيضرب بها وجهه) .

يقول ابن عباس : صلاة ركعتين بخشوع وتفكر خير من قيام
الليل والقلب ساه .

والخشوع محله القلب ، اذا خشع خشعت الجوارح ، أبصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى ويعيث بلحيته فى
الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام (لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه) كذلك قال عليه الصلاة والسلام للأعرابى الذى صلى
صلاة سريعة خالية من الروح فأمره بإعادتها وقال له : (صل
فانك لم تصل) . وقال عليه الصلاة والسلام (ليس للمرء من
صلاته الا ما عقل منها) .

وقال : (الصلاة نور) نور فى القلب ونور فى القبر ونور يوم
القيامة (يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) .

وعن الصلاة وأنها من ثمار الاسراء والمعراج يقول الدكتور
عبد الحليم محمود فى كتابه القرآن والنبي (أما ثمرة الاسراء
والمعراج وأما هدية الاسراء والمعراج ، وما اعظم المنح الآلهية فى
الاسراء والمعراج فهى : الصلاة ، ولا يتأتى لنا عجزا وقصورا أن
نتحدث عن الحمد ، وعن الشكر على هذه النعمة التى انعم الله بها
على الأمة الإسلامية فى هذه الليلة المباركة .

فَالصَّلَاةُ هى : الصلة به سبحانه ، وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتحقق .

انها فترة مناجاة ، فترة انقطاع كامل - ويجب أن يكون كاملاً - عن عالم المادة ، وعالم الشهوات ، عالم الفتنة ، لتخلص النفس الى المنعم ، حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه .

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ان اقامة الصلاة ، أو اقامة الدين انما هى : اقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك : هو المثل الاعلى والغاية العظمى والسعادة الكاملة التى يجرى وراءها المؤمنون ، ليحققوا بها معراجهم نحو الله تعالى .

وما من شك فى أن الصلاة يقيمها الانسان ، كما أراد الله ورسوله - من أنجح الوسائل فى القرب من الله .

انها البراق الذى يجتاز به المؤمن فى سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه وتعالى ، ليصل اليه تعالى ، فينعم فى رحابه .

هذه الزاوية - وغيرها من عبر الاسراء والمعراج هى التى يجب أن تنتبه اليها ، وأن نأخذ فى تأملها والانسجام معها (١) .

(١) صفحة ٢٧٢ / ٢٧٣ من كتاب القرآن والنبي .

تساؤلات

وقد وجهت تساؤلات الى فضيلة الداعية الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى فرد عليها فى حلقات أذيعت بالتليفزيون فى برنامج (نور على نور) وسبجلت فى كتابه (أحاديث الاسراء والمعراج) .

وتحن بدورنا هنا نعرض - فى ايجاز - رده المنطقى المدمم بالادلة والحجج الصائبة والتحليل المقنع ذى الاسلوب الميسر .

وقد قدم لحكمه فى هذه القضية قضية فرضية الصلاة ليلة المعراج ، ومسألة تردد الرسول عليه الصلاة والسلام بين ربه وموسى عليه السلام ، وما تصوره البعض (رغم صحة حديث البخارى) من أن هذا قد يوحى بنوع من وصاية سيدنا موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم - قدم تمهيدا نعرضه بايجاز وتركيز قال فيه :

ان الحق سبحانه وتعالى استهل حديثه جل وعلا عن حادث الاسراء بالكلمة القرآنية (سبحانه الذى .. ومعنى سبحانه : التنزيه .. والارتفاع بذات الحق عن ذوات المخلوقين ، والارتفاع بفعل الحق عن مشابهته لفعل المخلوقين ، والارتفاع بصفات الحق عن مشابهتها لصفات المخلوقين .

واذا كنا نأخذ فعل الله من هذه الزاوية ، وهى التنزيه ، فيجب أن ننسب الفعل الذى نسبته الله نفسه اليه .

وإن كل فعل من الأفعال يجب أن يؤخذ بقانون وقوة فاعلة
فقدرة الفاعل هي التي تصور لنا قدرته على الفعل من عدم قدرته .

والله سبحانه وتعالى نسب الاسراء الى نفسه . . ولم ينسبه
الى رسوله فقال (سبحانه الذي أسرى) أى أسرى هو بعده .

أذن فقانون محمد، وبشرية محمد ملغاة في الفعل، وفي الحدث
ورسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على قانون خالقه
وهو الحق سبحانه وتعالى - فيجب ألا نعترض على الفعل بقانون
البشرية ، بل يجب أن نرد الفعل الى قانون فاعله ، ومادام الفاعل
هو الله ، فلا تحكم للزمان فيه . . ولا تحكم للمسافة فيه ،
ولا تحكم لشيء من ذلك حسب قانون البشر . ومحمد صلى الله عليه
وسلم كان محمولا على قانون الحق أو مصاحبا .

وأعطى مثلا تقريرا لذلك فقال : اننى اذا قلت : لقد صعدت
أنا وابنى الرضيع قمة جبل هيمالايا . . فلا يمكن لعاقل أن
يقول : « وكيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبل هيمالايا ، لأننى
لم أقل ، صعد ابنى الرضيع ، وإنما قلت صعدت أنا بابنى الرضيع
أذن ، فالقانون قانونى . . لا قانون ولدى .

كذلك - والله المثل الأعلى - الله أسرى بعده ، أذن فقانون
محمد صلى الله عليه وسلم ، وبشريته وارتباطه بالزمان والمسافة
لا دخل له في شيء من ذلك .

وأضاف فضيلة الشيخ الشعراوي :

إن الاسراء جاء آية أرضية ، ومعنى آية أرضية أن البشر
يعلمون بيت المقدس ، ويعلمون البيت الحرام ، ومنهم من ذهب
الى بيت المقدس ، ومنهم من يعرف الطريق اليه .

والمولى سبحانه وتعالى ترك للدلائل العقلية ما يمكن أن يكون مؤيدا لوجهة نظر الرسول فيما قال ، فاذا قالوا (صف المسجد) وصفه كما رآه الناس ، واثمهم بطلبهم وصف المسجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل منهم على أنهم يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير المسجد ، فلو كانوا يشكون ، في أنه رأى من قبل ما سأله وصفه .

أذن فهم مقتنعون جميعاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يذهب الى المسجد الأقصى ومع ذلك استوصفوه .

أذن فالاسراء آية أرضية أمكن أن يقام عليها الدليل .

واذا أمكن إقامة الدليل المادى المرئى بواسطة البشر عليها فهتمة العقول أولا أن المسافة قد اختصرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وان قانون الزمن قد ألغى عنده ، اذن فقد خرق له الناموس . . فاذا عرفنا أن الناموس خرق له في أمر عادى نعلمه ونستدل عليه بقولنا فاذا حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن قانون السماء قد خرق له فاخترقه فلا مجال الا للتصديق .

وتكون اذن آية الاسراء ايناسيا لعملية الايمان بالمعراج .

فالله الذى خرق القانون لمحمد في المسافة والزمن خرق له القانون في المعراج للسموات السبع . كذلك يقول الامام المفسر الملمم الشيخ الشعراوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادث الاسراء والمعراج تعرض لثلاث مراحل :

المرحلة الاولى ، كان بشرا. وكان جبريل يرى محمدا الاشياء ومحمد يقول : ما هذا يا جبريل ، فيقول له : هذا كذا .. وهذا كذا .. ولكنه لما صعد الى السماء كان يرى المرائى فلا يستفهم من جبريل عنها ، ويسمع فيفهم اذن فقد تحول شيء في ذاتية محمد ، واصبحت ذاتية فاهمة بلا واسطة جبريل ، ورائية بلا واسطة أحد ، ففي الارض « ارادة » أما في السماء فقد رأى بالرؤية ..

ثم بعد ذلك نجد أنه صلى الله عليه وسلم بعد ان انتقل الى مرحلة يكون فيها ملائكة كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم .

يأتى بعد ذلك في منطقة أخرى بعد سُدرة المنتهى ، فينتهى حد جبريل .

ثم بعد ذلك يزج في سبحات النور والم يكن جبريل معه . وهذا دليل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر . ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سُدرة المنتهى الى شيء من الممكن أن يتحمل الى ما وراء سُدرة المنتهى دون مصاحبة جبريل .

اذن فحمد كان بشرا في الارض مع جبريل ، وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل في السماء وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقى به عن الملكية ، حتى أن جبريل نفسه يقول له : أنا لو تقدمت لاحترقت وانت لو تقدمت لاخترقت فذاتية محمد حصل فيها شيء من التغير الذى يناسب ذلك الملاء الأعلى .

وقد تحدث عن مسألة : الصلاة .. وما أثر حولها ، فقال : و .. هؤلاء الذين يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء اماما في بيت المقدس قبل أن يعرج فكيف ذلك ، والصلاة قد فرضت بعد العروج ؟

فنقول لهم : نعم فرضت الصلاة بعد العروج بشكلها الاسلامي،
النهائي .

لان الصلاة موجودة مع كل رسول ، وعند اتباع كل رسول
مصادقا لقول الله تعالى لابراهيم .

(وظهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) .

اذن فهناك ركوع .. وهناك سجود من يوم أن خلق الله
الرسالة ومن يوم أن خلق الله التكليف وفي سورة مريم - أيضا -

((يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)) .

وفي آية أخرى : ((ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة)) فكان فيه صلاة ..
لكن لا كالصلاة الاسلامية !!

فالصلاة الاسلامية خاصيتها أنها جمعت ميزات كل صلوات
الرسول .

فصلوات الرسول كانت في بعض الأزمنة غدوة وعشية : أى
ركعتين في أول النهار ، وركعتين آخر النهار .. شكل خاص في
الركوع وشكل خاص في السجود .. وهكذا فلما جاءت صلاة
الاسلام اخذت كل ميزات الصلاة .

ولم يأخذ رسول من الرسل العدد الذي فرض على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم بذلك التوزيع الزمني : أى خمسة
اوقات في اليوم واللييلة ولذا نجد أن سيدنا موسى استكثر هذا .

اذن كانت هناك صلاة .. ولكن الصلاة التي فرضت هي
الصلاة الجامعة لكل مزايا الصلوات المتقدمة عند الرسل السابقين

وخاصة أنه لم توجد صلاة عندهم اسمها « صلاة العشاء » التي جاءت فقط لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كذلك يقول الشيخ الشعراوي : أن الصلاة هي النسخة التي تشحن المؤمن ليقبل على أوامر ربه بجِد واجتهاد ولأن هذه النسخة هي الأساس الذي سيحرك هذا الموتور الانساني ، كانت بالنسبة للفرضية تختلف عن كل الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة .

ولم يشأ الله في مقام قرب محمك منه إلا أن يردده بما يقرب المؤمنين برسول الله ، فكانت الصلاة : هدية القرب للقرب .

والعراج كان تكريما لرسول الله لأنه كان قريبا من الله سبحانه وتعالى . لم يستأنر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالتكريم مع أنه يحب أمته . لا ، لابد أن يرجعه الله بتحفة وهدية إلى من يؤمن به لتكون وسيلة إلى التقرب أيضا ، ولذلك يقول الحق (فاسجد واقترب) .

فكان السجود الذي هو أظهر مظاهر الخضوع في الصلاة هو الذي يقرب الإنسان إلى الله ، القرب الذي اقترب به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه ، فكان الله سبحانه وتعالى حيا محمدا صلى الله عليه وسلم حين قربته منه في المأ الأعلى بأن حملة هدية ، وحملة تحفة يحملها إلى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتكون لهم حظا في القرب من الله ، كما كان لرسوله صلوات الله وسلامه عليه حظه في القرب منه جل وعلا .

لِيُمَحِّصَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ



الاسراء معجزة وتكريم .. واختبار وتمحيص (ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .. الاسراء معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتحدث عنها الأجيال المؤمنة بها .. تجاى لهم عوالم وأفلاك ومشاهد عزت على العقل واستحالت على الإدراك الاسراء تسليية وتسرية وتكريم للرسول في الملاء الأعلى ..

وهو اختبار وتمحيص يظهر من بقى على إيمانه واستقر على يقينه كما هو فتنة للكافر ومحق له .

وسيظل أمر الاسراء والمعراج بهذه المثابة وتلك الصفات والخصائص الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سيظل أمره كذلك مادام هناك مؤمنون يؤمنون في حق وعمق ويقين وتصديق وصدق وتسليم بكل آيات الاسراء وخوارق المعراج وبكل ما رواه عنهما الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وسيظل الأمر كذلك مادام هناك كافرون جاحدون ينكرون أحداثه جملة وتفصيلا

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

سيظل الأمر كذلك مادام هناك من يقول في شأن الاسراء

والمعراج ، كما جاء في بحث قال فيه صاحبه (١) (بالحرف الواحد) قال : « والاسراء حقيقة نص عليها القرآن الكريم نصا صريحا بقوله ، جل شأنه :

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) .

والمعراج حقيقة أيضا .. ولكن ليس في القرآن نص صريح به .. وانما وردت عنه بضع آيات قرآنية من سورة « النجم » ذات تفاسير متعددة ، ومتضاربة في نفس الوقت لا يطمئن اليها العقل .. والاستناد في رحلة المعراج الى أحاديث منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرتاح لها الباحث ، لأن النشاط الاسرائيلى كان يتسلل الى العقيدة الاسلامية في ذلك الوقت من خلال تفاسير القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام) .

ان أعداء السنة النبوية الذين يقولون نؤمن بما جاء في القرآن وحده ، وبما تحدث عنه وبما نص عليه .. ويغفلون أو يتغافلون ويجهلون أو يتجاهلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله جل وعلا ، وانها كاشفة وموضحة ومبينة للقرآن الكريم وأن حاجة القرآن الى السنة كحاجة السنة الى القرآن ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم (لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى) (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

(١) الصفحة الاولى من مبحث عنوانه (التفسير الفرائى المعجز لرحلة

الاسراء والمعراج ، لصاحبه « مصطفى الكيك » مفتش أول سابق بوزارة التعليم .

ويقول الامام عبد الحليم محمود في كتابه (الاسراء والمعراج) ص ١٣٠ عندما تحدث عن التصديق والايمان المطلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف أبى بكر رضى الله عنه عندما صدق بالاسراء والمعراج بمجرد اخباره عنه قال - رحمه الله - (. . هذا الايمان المطلق بالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يطابق على أبى بكر رضوان الله عليه : (الصديق) .

و « الصديقية » مرتبة من مراتب ، لا ينالها الا من جاهد نفسه جهادا تخطى به ايمان العامة ، وسما في ايمانه درجة ، الى أن أصبح قائما بالله متجها اليه ، عاملا على مرضاته في جميع ما يأتى وما يدع .

والامة الاسلامية بأكملها ، مطلوب منها ، بالنسبة الى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون على غرار الصديق رضوان الله تعالى عليه ، تلقى بقيادها الى أخباره ، وتسلم نفسها الى أنبيائه ، مصدقة تصديقا كاملا : تصديقا يحملها على العمل بما جاء به ، وعلى اتباع كل ما جاء به ، وعلى الانتهاء عن كل ما نهى عنه ، تصديقا ايجابيا يحقق للامة الاسلامية المجد الذى ترجوه تصديقا ينفى عن وجودها هؤلاء الذين انحرفوا مع المنحرفين ، واستجابوا لنداء اعداء الاسلام فأخذوا يشككون الناس في أقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، في أحاديثه وفي سننه ، زاعمين أنهم من المجددين !! وما هم في الواقع الا أبواق من أبواق المستشرقين ، المبشرين .

ان هذه الاقلام التى تشكك في السنة ، وفي الأحاديث النبوية ليست الا أقلاما مقلدة لا تحمل طابع الأصالة ، ولا طابع التجديد

وانما تحمل طابع التقليد ، وطابع الفشل والتردد الذى يتنافى مع الايمان ، ويتنافى مع الصديقية » .

والاسراء والمعراج فتنة واختبار يقول عن ذلك الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (القرآن والنبي) ص ٢٧٠ « لقد كفر عند سماع النبأ من كفر بعد اسلامه .. وارتد من ارتد بعد ايمانه وما كان هؤلاء لو بقوا الا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة .

ان هؤلاء المكيين الذين آمنوا ، وصبروا على الحوادث القاسية : على التعذيب ، وعلى الآلام ، وعلى الفتنة فى جميع مظاهرها ، ان هؤلاء المكيين الذين صبروا .. وصابروا .. وتخلطت أنفسهم من جميع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصة لله وحده .

ان هؤلاء المكيين الذين كان فى تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم الدولة فى نسأتها والذين من أجل ذلك « يجب أن يكونوا مهيبين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقباته ، نقول : ان هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية تامة كاملة » .

وهناك أقوال.. وأقوال

قالوا : ورد في صحيح البخارى ج ٥ صفحة ٦٩/٦٨ طبعة سنة ١٣٧٨ هجرية ما نصه :

« ثم فرضت على .. أى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات خمسين صلاة كل يوم .. فرجعت فمررت على موسى فقال : بم أمرت ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

فرجعت : فوضع عنى عشرا .. فرجعت الى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا .. فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت فقال مثله : فرجعت فوضع عنى عشرا ؟

ثم قالوا معقبين على هذا الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى فى صحيحة قالوا :

« نلاحظ معا أن عدد العشرات التى وضعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بحسب ما ورد بالبخارى أربع ، بأربعين فرضا ، من خمسين ويكون باقى التكليف من الخمسين عشر صلوات وليس خمسا ، كما هو واقع الحال الآن .

ثم قالوا : ان الذى يتأمل هذا الحديث يجد أنه يكشف عن طريقة فى التكليف بالفريضة لم يعرفها الاسلام ، فقد كان التكليف

يفرض على المسلمين بآيات قرآنية يوحى بها الى الرسول صلى الله عليه وسلم . . أما هذه الصلوات التى جاءت باتصال مباشر بالله سبحانه وتعالى فظاهرة تلفت النظر .

ثم عقبوا على هذا قائلين : واذن فهذا الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : من أنه تلقى مباشرة عن الله - جل وعلا - فى معراجة اليه فريضة الصلاة على النحو الذى جاء به دون أن يوحى اليه قرآنا ، لا يتفق مع الأسلوب الذى نزلت به الفرائض جميعا .

كما أن الطريقة التى رسمها الحديث لتحديد الفريضة لم تكن طريقة حاسمة كما هو الحال فى أحكام الفرائض الأخرى .

ثم حكموا على هذا الحديث بأنه حديث موضوع !!
واستدلوا على ما ذهبوا اليه من أن هذا الحديث مكذوب وموضوع بقولهم : وقد كشف واضع الحديث نفسه حين لجأ الى أسلوب غريب على التشريع الإسلامى ، أسلوب أنسبه بالأسلوب التجارى المبني على المساومة . وهو ما يمارسه اليهود من الأساليب فى معاملاتهم .

ثم قالوا : ومما يلفت النظر : ما ورد فى هذا الحديث أن موسى عليه السلام طلب الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن (يرجع الى ربه) ، ليسأله التخفيف عن أمته كأنما كان لربه مكان يرجع اليه الرسول فيه ليسأله هذا التخفيف . . وهو تجسيد ، ومكانية « للآله ياباه الاسلام » ولا يؤمن به ، لأن الاسلام نشأ على التجريد وعلى أن الله سبحانه ليس كمثله شئ . . أما الذين تستوعب عقيدتهم تجسيد الآله ومكانيته فهم اليهود ، لأنهم يعرفون آلههم على صورة بشرية . .

وأضافوا بعد ذلك قولهم :

ان الصلوات الخمس ، وفريضة الوضوء ، أوحى بهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة بعد أكثر من ثلاث عشرة سنة من بداية الدعوة وحيا قرآنيا ، ثم قالوا :

والثابت أيضا أنها فرضت على المسلمين بمكة منذ بداية الدعوة وقبل أن يصدر الحكم بها وبأوقاتها بالمدينة : كقوله تعالى من سورة الأعلى المكية الآيتين الشريفتين : ١٤ ، ١٥ : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

ومن سورة الكوثر المكية ج ٣ بالآية الشريفة « فصل لربك وانحر » .

ومن سورة الأنعام المكية الآية ٧٢ « وأن أقيموا الصلاة واتقوه » .

ومن سورة طه المكية آية ١٣٢ « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » .

وختموا اتجاهاتهم هذه بقولهم :

وورد في السيرة النبوية لابن هشام : أنه لما فرضت الصلاة على هذا النحو المكي جاء جبريل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة . . وعلمه الوضوء . . وصلى به الصلوات الخمس يومين متتاليين ، بأوقاتها وعدد ركعاتها وسجاداتها ، وما يسر منها وما يعلن . . ابتداء من التكبير بالله جل شأنه الى التسليم . . (كما جاء في سيرة ابن هشام الجزء الأول) .

ثم قالوا :

وغير خاف أن أداء فريضتي الوضوء والصلاة بمكة منذ بداية الدعوة ، وقيل رحلة الاسراء بأكثر من اثني عشر عاما سبق نزول الآيات الشريفة التي فرض بها الوضوء ، وفرضت بها الصلوات الخمس بالمدينة .

وهذا السبق من خصائص القرآن الكريم ، على ما يقول به الامام جلال الدين السيوطي حيث يسبق الحكم أحيانا النزول ، أو يسبق النزول الحكم ،

(راجع الاتفاق في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧) .

وليس هذا كل ما وجه الى معجزة الاسراء والمعراج من آراء وأقوال ومزاعم وأقاويل وأحاديث كواذب ..

بل هنالك كثير مما فاضت به بعض كتب التاريخ وبعض مانشر من أبحاث ومقالات في بعض الصحف ، وما أذيع في وسائل الاعلام .

ولا عجب بعد ، أن قال البعض : « لعل الناس لم يختلفوا في شيء قط كما اختلفوا في شأن الاسراء والمعراج » ولم يتجادلوا في شيء قط كما تجادلوا في أمرهما ، فمن الناس من صدق بهما جميعا .. ومن الناس من كذب بهما جميعا ..

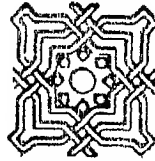
ومنهم من صدق بالاسراء وكذب بالمعراج ..

ومنهم من قال ان الاسراء كان بالروح والجسد معا ..

ومنهم من قال انه كان بالروح دون الجسد ..

ومنهم من قال انه كان في اليقظة ، ومنهم من قال بأنه كان في المنام ..

وهكذا لم يزل الناس منذ هذا الحادث العظيم يختلفون فيه ،
ولا يزال كل فريق يحاول أن يؤيد رأيه بكل ما يبدو له من الحجج ،
وما يرجح عنده من البراهين . وصدق الله العظيم اذ يقول :
« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » .



وأخيراً ..

... ومضى ركب الحياة ..
وانقضت القرون والأعوام ..
وتقدم البحث العلمى ..
وسار موكب الاختراعات يبحث الخطى ..
كل يوم كشف جديد ..
الى أن جاء عصر الطائرات والنفاثات ، والصواريخ ،
والذرة ، فالتغيت المسافات .. وقرب كل بعيد ..
وفكر الإنسان فى غزو الفضاء ووصل الى القمر ..
وأصبح ما كان بالأمس خيالا حقيقة واقعة .
وأصبح ما كان العقل ينفى وجوده ، أو يستبعد حصوله
واقعا ملموسا ..
وأصبح الذين استبعدوا حدوث الاسراء قديما لا مكان
لهم اليوم ..
وهكذا أبدت المخترعات والمكتشفات معجزات
الاسلام ..
واثبتت الأيام صدق من أسرى به محمد عليه الصلاة
والسلام ..
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

فهرس

٥	● مقدمة : (بين يدى الاسراء والمعراج)
٨	●● اثار واغاصير مهدت للاسراء والمعراج
١٠	□□ شائعات
١٢	□□ مزاعم واكاذيب
١٦	□□ الحصار الاقتصادى
١٨	□□ عام الحزن
٢٠	□□ فى الطائف
٢٦	●● قبيل بدء الرحلة (شق الصدر)
٢٨	□□ حكمة تكرار شق الصدر
٣٢	□□ بدء الرحلة
٣٤	□□ رحلة المعراج
		●● عند سسيرة المنتهى (لقاء بين الله ومحمد صلى الله
٤٠	عليه وسلم)
٤٤	□□ رؤية الله .. والمعراج
٥٠	□□ العودة الى مكة
٥٤	□□ صلاة
٥٩	□□ تساؤلات
٦٦	●● ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
٧٠	□□ وهناك اقوال .. واقاويل
٧٥	□□ وأخيرا

● مختارات من مطبوعات الشعب

- | | |
|--|---|
| <p>● رجال من مكة</p> <p>□ عبد المنعم الجداوى</p> <p>● العبقريات الاسلاميه</p> <p>□ عباس محمود العقاد</p> <p>● زينب بنت محمد</p> <p>□ وقصص أخرى</p> <p>□ عبد السميع المصرى</p> <p>● محمد صلى الله عليه</p> <p>وسلم (أريج من سيرته</p> <p>وقبس من شريعته)</p> <p>□ محمد محمد الدهان</p> <p>● أبناء الرسول في كربلاء</p> <p>□ خالد محمد خالد</p> <p>● محمد محرر العبيد</p> <p>□ شوكت التونى الحامى</p> <p>● حكايات اسلامية</p> <p>□ سنية قراعة</p> <p>● دلائل النبوة ومعجزات</p> <p>الرسول صلى الله عليه وسلم</p> <p>□ د . عبد الحليم محمود</p> <p>● المسجد النبوى الشريف</p> <p>ومزارات أهل البيت</p> <p>□ اسماعيل أحمد اسماعيل</p> <p>□ النبوى جبر سراج</p> | <p>● التحديات التى تواجه</p> <p>العالم الاسلامى</p> <p>□ الشيخ عبد الوهاب</p> <p>عبد الواسع</p> <p>● قضية الحرمين الشريفين</p> <p>□ صلاح عزام</p> <p>● ملامح دينية</p> <p>(بقلم زكى مبارك)</p> <p>□ اعداد : كريمة زكى مبارك</p> <p>● رسائل الامام الحسن</p> <p>□ زينب حسن عبد القادر</p> <p>● الانبياء فى القرآن الكريم</p> <p>□ محمود الشرقاوى</p> <p>● محمد نبي البر</p> <p>(المختار من سيرة</p> <p>ابن هشام)</p> <p>□ ابراهيم الابيارى</p> <p>● محمد رسول الحرية</p> <p>□ عبد الرحمن الشرقاوى</p> <p>● محمد والعقل</p> <p>□ حسن الحفناوى</p> <p>● قبس من هدى الرسول</p> <p>صلى الله عليه وسلم</p> <p>□ اسماعيل الدفتار</p> |
|--|---|



هذا الكتاب

الاسراء والمعراج رحلتان آلهيتان تحدثت بعض
الكتب عن بعض احداثهما بحديث اختلط فيه الحق
بالمسوس من الأحاديث الكواذب .

ويسر دار الشعب أن تخرج كتابها هذا عن الاسراء
والمعراج في ثوب سداه الحق ولحمته الصدق ، يعتمد
على آيات الحق جل وعلا ، وما صح من أحاديث
متواترة عن صاحب معجزة الاسراء والمعراج عليه
الصلاة والسلام .

وذلك الثوب نسجته يد صناع يد الكاتب
الاسلامى الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف .
ودار الشعب اذ تقدم الكتاب بهذه الصورة للقراء
في العالم الاسلامى تسأل الله أن يتم به النفع وأن
تعم به الفائدة انه نعم المولى ونعم النصير .